الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

على هامش اليونسكو :

لقد بذل لبنان منتهى النشاط في الإعداد لمؤتمر اليونسكو ، وأنفق كثيراً في الأوجه المختلفة المتعلقة به من تشييد وتأثيث وضيافة وغير ذلك . ودعت مصر أعضاء المجلس التنفيذي لليونسكو إلى عقد دورة فيها عقب انتهاء مؤتمر بيروت العام ، فلبوا الدعوة وسينزلون ضيوفاً على الحكومة المصرية من يوم ١٢ إلى ٢٦ ديسمبر الحالي ، ويزورون في خلال ذلك المتاحف والآثار ، والدور العلمية ، وتقام لهم بعض الحفلات ، ويشاهدون التمثيل في الأبرا .

ولا شك أننا — لبنان ومصر — نقصد إلى الدعاية لبلادنا ، ونسير في وسائلنا لذلك على ما عرفنا به من الكرم والسماحة ، ولا علينا أن الدول الغربية عند ما تدعو إلى عقد المؤتمرات العالمية لا تبذل لها ما نبذل بل لعلها ترى إلى الاستفادة الاقتصادية من وجود أكبر عدد ممكن من مندوبي الدول فيها ، فنحن أحفاد حاتم الطائي ، ونحن أبناء الشرق الروحيون ...

ولكن عند ما يشاهد أولئك المندوبون الضيوف الكرام منشآتنا وبناياتنا الفخمة الضخمة ، من تليد وعتيد ، ويرون الأنوار الساطعة في ميادين عواصمنا — لا ينبغي أن نغتر بظاهر ثنائهم ، فإن لهم عيوناً نافذة تلمح ما وراء هذه المظاهر من الحياة البادية للشعب ، وهي حياة شاسعة تشغل تلك المظاهر جزءاً صغيراً جداً منها ... فبناء الجامعة — مثلا — بالغ الروعة ، وبها عدد من الأساتذة الأعلام لا يقلون في مستواهم العلمي والفكري عن أمثالهم في أرقى الأمم ، ولكن هذه قمة الهرم والباقي سفح لا يشرف ما به من نسب الأمية والجهالة ، ومسرح الأبرا يتيم في القطر وأرستقراطي ، والأنوار الساطعة لا تعشي البصر عن رؤية الأكواخ ومساكن الفقراء ... الخ

وأنا أريد أن أفرض أن ضيوفنا سينخدعون بما نغرقهم فيه من ضباب الحفاوة والمظاهر ، وما أحب إلينا ذلك ، ولكن أخشى أن ننخدع نحن بصنعنا ... فنظل على ما نقوم بتمثيله ونحن في أشد الحاجة إلى أن نعيش أكثر الوقت في واقعنا ، نواجهه ونرقمه حتى نصل إلى الحد الذي نستمد فيه تمثيلنا من واقع الحياة .

التعليم المصري في السودان :

وهذه مسألة من صميم اختصاص منظمة اليونسكو ، فليت وفد مصر يثيرها في المؤتمر ، أليس من مبادئ اليونسكو نشر التعليم في أرجاء العالم ؟ فلنقل للإنجليز لم يقفون في وجه انتشار التعليم في السودان ويعوقون الجهود المصرية في هذا السبيل ؟

فقد تضمن خطاب العرش في افتتاح الدورة البرلمانية الحاضرة أن الحكومة المصرية تعمل على إنشاء مدرسة ثانوية في الأبيض ومدرستين ابتدائيتين إحداهما في كسلا والأخرى في بور سودان ومدرستين أوليتين إحداهما في واو والثانية في بور . فبلبل ذلك الخاطر الإنجليزي في السودان ، لأنهم يعطون التعليم للسودانيين بقدر وعلى النحو الذي يريدونه ، من حيث تهيئته تهيئة آلية ، وتشبيعه بالروح الموالية لهم ، أما المدارس المصرية فهي الخطر كله ، وأقل ما فيها أنها تجمع أبناء الوادي على ثقافة واحدة ، وهي تشعر السودانيين بأن للحكومة السودانية الإنجليزية شريكا في النفوذ هناك ، وحكام السودان من الإنجليز يحرصون على أن يقروا في أذهان إخواننا بالجنوب أنهم — أي الإنجليز — كل شيء هناك ، وليس لمصر معهم حول ولا طول .

فما كان من الخاطر الإنجليزي المبلبل في السودان إلا أن أفضى لسانه في مؤتمر صحفي بالخرطوم — على الطريقة الإنجليزية الرقطاء — أن حكومة السودان تشكر مصر على شعورها نحو التعليم في السودان إلا أنها ترى أن تتعاون وزارة المعارف المصرية مع مصلحة المعارف السودانية على إنشاء هذه المدارس المقترحة والإشراف عليها بدلا من أن تكون تابعة رأساً لتلك الوزارة ، لأنه ليس من مصلحة البلاد إقامة نظامين للتعليم فيها لكل منهما برنامجه الخاص .

ومعنى ذلك أن إدارة المدارس المقترحة تكون «ثنائية» ومعنى الثنائية في العرف الإنجليزي بالسودان أن ينفرد الإنجليز بكل شيء

هناك دون مصر ، طبقاً لخرافة « الحكم الثنائى » المشهورة ..

ثم كيف كان من مصلحة البلاد إقامة نظاميين للتعليم يوم أنشئت مدرسة الملك فاروق فى الخرطوم ومدرستان أوليتان فى جبل الأولياء وملكال ، ثم أصبح ذلك الآن مخالفاً لمصلحة البلاد ؟ أكان من المصلحة لأنه وقع فى سنة ١٩٤٣ فى خلال الحرب يوم كان « الحلفاء » يخطبون الود ويبذلون الوعود ويستجدون الثقة والمعونة ، ثم صار الآن من غير المصلحة ... ؟ على أن النظاميين قائمان ، حتى قبل إنشاء المدارس الحكومية المصرية ، فهناك منذ زمن مداس أهلية برنامجها مصرى ، ويقبل أبناء السودان على هذه وتلك على رغم العقبـــات التى تضعها الحكومة السودانية فى سبيلهم ، والتى منها عدم الاعتراف بالشهادات المصرية فى التعيين بالوظائف ، والالتحاق بالمدارس العالية التابعة لحكومة السودان ، وغير ذلك .

وبعد فإذا كان الهدف الأول لليونسكو القضاء على أسباب الحروب فى عقل الإنسان ، فهذه هى عقول الإنجليز فى السودان .

الصهيونى والفرقة المصرية :

« الصهيونى » مسرحية ألفها ، وأخرجها ، وقام بدور البطل فيها ، الأستاذ يوسف وهبى بك ؛ ومثلت فى هـــذا الأسبوع على مسرح الأزبا

* وافق مجلس كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول على دعوة الدكتور طه حسين بك ليكون أستاذاً زائراً بها ، وقد قابل أحد أساتذة الكلية الدكتور طه وفاتحه فى هذا الأمر ، فأبدى الدكتور عدم رغبته فى العودة إلى الجامعة وأنه سيرفض تلك الدعوة .

* قدم إلى مصر فى الأسبوع الماضى معالى الأستاذ الشاعر العراقى الشيخ محمد رضا الشبيبى رئيس المجمع العلمى العراقى — لحضور مؤتمر مجمع فؤاد للغة العربية ، وهو أول مؤتمر يحضره بعد انتخابه عضواً فى المجمع ، وسيستقبله فى جلسة الافتتاح الأستاذ العقاد بكلمة ترحيب وتعريف .

* اعترض مندوب لبنان فى مؤتمر اليونسكو على عدم اعتماد اللغة العربية فى عداد اللغات الرسمية للمؤتمر مع أنها لغة خمس دول مشتركة فى اليونسكو ، وأيده مندوبا مصر والمملكة السعودية ، ودارت مناقشة انتهت بإحالة الموضوع إلى إحدى اللجان لدراسته . وفى نفس الجلسة تقرر اتخاذ الاسبانية لغة رسمية .

* كان المجمع العلمى العربى فى دمشق طلب إلى معهد المخطوطات بالجامعة العربية تصوير كتاب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر توطئة لنشره . ويعمل المعهد الآن فى تصوير الكتاب الذى يقع فى سبعة آلاف صفحة ، وقد أوشك أن ينتهى منه .

* توالى لجنة الأدب بالمجمع اللغوى النظر فى الانتاج الأدبى المقدم لمسابقة سنة ١٩٤٨ — ٤٩ وتنتهى من عملها فى أواخر فبراير القادم وتعلن النتيجة فى مارس وقد تقدم فى البحوث أربعة وفى القصة ثلاثة عشر وفى الشعر أحد عشر

* كان قـد اختير المراقب العام للاذاعة فى الخبراء الملحقين بوفـد مصر فى مؤتمر اليونسكو ، وقالت مجلة الإذاعة إن حضرته سيوافى الإذاعة بأنباء المؤتمر ، وإلى الآن لم يسمع من الإذاعة شىء من أنباء المؤتمر لا من مندوبها ولا نقلا عن الصحف كدابها فى نشرة الأخبار .

* لوحظ أن الأغنية الجديدة التى ألفها راى وغنتها أم كلثوم تكونت من عدد كبير من ألفاظ البكاء والأنين والدموع والشجن ...

الملكية . وهو يقدم لنا فيها شاباً ماجناً خليعاً مدللا متعطلا على الرغم من أنه درس الهندسة الميكانيكية ونال فيها أعلى الشهادات ، وهو ابن (باشا) عسكرى قديم : يسخط عليه أبوه لأنه ولد (خسران) وفجأة يهبط على المنزل بطائرة ويعلن أنه أصبح ضابطاً فى سلاح الطيران بالجيش المصرى تلبيـة لنداء الواجب فى حرب الصهيونيين بفلسطين ، وفى هذا الموقف نرى البطل الطيار (يوسف وهبى) يقلب الجو الذى كان ينبغى أن يكون رائعاً ، إلى مهزلة .. يسخر فيهـا من أبيه «الرجل العسكرى» ويتندر عليه . وتسود هذه الروح وهى تكلف الظرف والفكاهة فى غير موضعها — أكثر مواقف الرواية ، ومن ذلك ما يحـدث عند ما يفاجئ الأسرة شاب يدعى أنه « سامى » ابن الباشا من زوجته الأجنبية التى خرجت به من مصر صغيراً ، وأنه لما علم بأن مصر تحارب فى فلسطين أسرع إليها ليؤدى واجبه ، ويظهر فيما بعد أنه جاسوس صهيونى ، وهو المقصـود بعنوان الرواية ، يدخل هذا الشاب على أسرة الباشا فيستقبلونه ويدهشون لسانه المصرى فيقول لهم : إنه كان يدرس اللغة العربية فى كلية اللغات الشرقية بألمانيا ، وينطق بعبارات فصـــيحة ، فيقول له « عزت » المهندس الضابط

الطيار :(دابيكلم نحوى كمان ... دا ينفع فى ا) وهذا كلام ليس بأنحاً فحسب بل هو من فكاهات الطبقة العامية البحتة ...

هذا وقد أجاد فؤاد شفيق الذى مثل دور الباشا ، فى دعابته ، وهو ممثل مطبوع على الظرف بإلقائه وحركاته وتعبير ملامحه .

وأجادت أمينة رزق فى تمثيل «منى» بنت أخى الباشا ، أجادت فى القيام بدور الفتاة الكريمة ذات الإحساس النبيل ، التى تتألم إزاء إعراض « عزت » عنها ، ووالداه يلحان فى زواجه منها . وقد رفعت المسرحية فى دورها عن مستواها السف ... وكذلك فعلت سامية رشدى التى مثلت الزوجة التركية المطيعة والأم التى تكاد تهلك أسى على مصير ولدها .

وقد توالت فى أواخر الرواية المفاجآت وازدحمت المصادفات مما كاد يخرجها عن مألوف الواقع فى الحياة ، فقد كشف أمر الجاسوس الصهيونى بعدة مصارفات محكمة ، كأن الأقدار تشترك فى تأليف الرواية . . . وقد أفرغ يوسف وهبى المؤلف طاقته الصاخبة فى التأليف ، حتى لم يبق له منها شىء فى التمثيل ... فقد مثل « عزت » فصغر حتى صار شاباً فى الخامسة والثلاثين ، صغر (بالكياج) ولكنه ظل جامد الحركة ، تتعاقب عليه الأحداث وهو هو لا تغيير ولا تعبير . ويوسف وهبى إنما يعبر بالحنجرة والصوت الجهير والتلويح باليد وما شابه ذلك ، وهو ينجح فى هذا اللون من التمثيل حتى يبلغ القمة ، ولكن دوره فى هذه الرواية لم يكن كذلك .

والمسرحية ترمى إلى الإشادة بالوطنية المصرية ، ولكن الموضوع شىء ، وطريقة معالجته وأدائه ونصيب ذلك من الفن الراقى شىء آخر . فالرواية تشبه (الاسكتشات) التى تقدمها الفرق الاستعراضية ، وما أشك فى أن « شكوكو » كان أليق من يوسف وهبى بدور « عزت » .

ومما يؤسف له أن الفرقة المصرية بعد أن بدأت موسمها بمسرحية « سر الحاكم بأمر الله » وكان يرجى أن تسير فى هذا المستوى ، وقد ألف لها محمود تيمور وتوفيق الحكيم مسرحيتين جديدتين لم تظهرا بعد . أقول مما يؤسف له أنها أخذت بعد ذلك فى برنامج لا يبشر بنجاح الموسم النجاح المرجو لفن المسرح فى مصر بعد أن انحصر فى الفرقة التى ترعاها الحكومة . وقد أعلن أن الفرقة ستمثل بعد « الصهيونى » روايات أخرى قديمة ليوسف وهبى ، وقد تكون هذه الروايات نجحت فى وقتها . ولكن هل تصلح الآن للنهضة المرجوة ، وهى تحتاج إلى التجديد ، وإلى الفن الراقى ؟

لا أقول إن يوسف وهبى يستند إلى رعاية الدولة وإعانتها للفرقة المصرية ، فيعمد إلى إظهار نفسه كل شىء فى كل شىء ... فى التأليف ، وفى الإخراج ، وفى التمثيل ، وفى النقد بالحكم على براعته فى الإعلانات التى يصدرها باعتباره مديراً عاماً للفرقة ، وهذا (أنه مدير عام) الطرف الخامس للأطراف التى يريد أن يجمع المجد منها كلها — لا أقول ذلك إلا خوفاً على الفرقة المصرية أن تعصف بها هذه الجهود الترامية ونحن فى عصر الاختصاص ، فليكتب يوسف وهبى جماع عبقريته الشاملة ويترك التأليف على الأقل ويفسح للآخرين من أهله أن يساهموا فى خدمة المسرح وتغذيته ورفعته .

الحارة الرهيبة :

قرأت الكلمة التى كتبها الأستاذ أحمد عزيز بيتوفن بعنوان « أوهام لغوية » ونسب إلىّ وهماً منها فى بعض ما كتبت ، وهو « والحادثة الهامة فى القصة أو العقدة فيها ، ادعاء الحاكم بأمر الله الألوهية » قال : « واستعمال كلمة هامة فى هذا المكان للدلالة على أهمية الحادثة وهم لغوى ! وكان الصواب أن يقول الحادثة المهمة ، فى قاموس الصحاح للجوهرى ما يلى : المهم : الأمر الشديد ، وأهمك من الأمر : ما أقلقك وأحزنك » .

وفى هذا الكلام وهمان لغويان ، أثناء الأول من وقوفه عند « الصحاح » فاعتمد « أهمه » وأنكر « همه » ، ولو أنه فتح معجما آخر لوجد أنهما موجودان بمعنى واحد ، ففى القاموس المحيط « همه الأمر هماً ومهمة حزنه كأهمه » . وفى المصباح المنير « أهمنى الأمر بالألف أقلقنى وهمنى هماً من باب قتل مثله» فالهامة من وهم والمهمة من أهم ، واستعمال كل منهما كاستعمال الأخرى ، ويبدو لى أن استعمال أيهما فى الدلالة على الأهمية آت من حيث أن الأمر القلق يدعو إلى الاهتمام .

الوهم الثانى فى قوله : « قاموس الصحاح للجوهرى » لأن القاموس علم على كتاب الفيروزابادى مأخوذ من القاموس بمعنى البحر ، وليس كل معجم قاموساً كما وهم حضرته .

ويظهر أن السيد بيتوفن يريد أن يكون معقباً لغوياً ، فأنصحه بالحذر من « الأوهام » وأتمنى له أطيب التمنيات .

عباس مضر